الأصمعيات

الدكتور فخرالدين قباوة

— ١ —

نشأ الأصمعيُّ في مدينة البصرة ، وبرع في اللغة والغريب والأخبار ،ورواية الأرجاز والأشعار ، وتذوق الأدب ونقده . وقد بلغت الرشيد شهرة الأصمعي ونباهة ذكره ، فاستقدمه إلى بغداد ، لينال الحظوة في مجلس الخلافة . وحوالي عام ١٧٥ وكل اليه الرشيد تأديب ابنه الأمين (١) . وكأن الخليفة الرشيد كان معجباً بصنيع المفضل في اختياراته ، فرغب الى الأصمعي ، في تلك السنوات التي قضاها في بغداد ، أن يجمع له من عيون الشعر العربي ما يكون كتاباً يخلد له ذكراً .

ولقد كانت نفس الأصمعي ، بلا شك ، تنازعه إلى مثل هـذا الصنيع ، معارَضةً للمفضل الراوية الكوفي ، ومنافسة لأقرانه وأسلافه ولذلك لقيت رغبة الرشيد قبولاً حسناً لدى الأصمعي ، كان نتاجه الاختيارات المنسوبة إليـه التي عرّفها البغدادي بقوله: (٢) « هي قصائد اختارها لهـارون الرشيد ، فاشتهرت بالأصمعيات » .

ومع أن اختيارات الأصمعي ولدت ونشأت مستقلة ، متميزة الكيان ، كما رأينا ، فقد حلا لبعض الباحثين ـ تأثراً بما ذكره القالي والمرزوقي (٣) عن صنيع

---

(١) مجموع أشعار العرب ١ : ٥ من المقدمة .

(٢) الخزانة ٤ : ٢٣٥ .

(٣) انظر ذيل الأمالي ص ١٣٠ وشرح المفضليات للمرزوقي ورقة ٥

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الأصمعي بالمفضليات ـ أن يسودوا صفاء تاريخها ، وينزعوا عنها الأصالة والتميز ، ليجعلوها ربيبة في أحضان اختيارات المفضل ، ويفرضوا عليها النشأة الطفيلية ، التي تهدر قيمتها ، وتشوه نقاء أصلها ، وتهجن عراقة نسبها .

هذا مانجده لدى محقق « نخبة من كتاب الاختيارين » الذي يرجح أن الأصمعيات نشأت حين كان الأصمعي يقرىء تلاميذه المفضليات ، ويلحق بها زياداته . فكانت هذه الزيادات المقحمة بذوراً للأصمعيات ، التي لم تفصل في كتاب مفرد إلا بعد الأصمعي ، وبعد أن تركت أجود قصائدها في المفضليات . ولذلك كان تاريخ جمعها وروايتها ـ كما يقول ـ مجهولاً ، لايعرف عنه شيء (١) وهذا ، كما ترى ، مخالف لما نص عليه البغدادي في الخزانة .

لقد صنع الأصمعي اختياراته في كتاب مفرد ، وأقرأها تلاميذه متميزة من المفضليات . يؤيد هذا ما ذكره ابن خير الاشبيلي . فقد روى ابن خير هذا « كتاب الاختيارين » (٢) مسنداً كما يلي : (٣) « اختيارات المفضل والأصمعي ، حدثني بها شيخنا أبوعبدالله جعفر بن محمد بن مكي ، رحمه الله ، عن الشيخ أبي علي الغساني ، قال : حدثني بها القاضي أبوعمر أحمد بن محمد بن يحيى بن الحذاء . وحدثني بها أيضاً الشيخان : أبومحمد بن عتاب ، وأبوالحسن يونس بن محمد بن مغيث ، رحمهما الله ، قالا : حدثنا القاضي أبو عمر أحمد بن محمد بن الحذاء ، المذكور ، بها عن أبي القاسم عبدالرحمن بن أبي يزيد ، عن أبي العباس أحمد بن إسحاق بن عتبة الرازي ، عن علي بن سليمان الأخفش جامعها ومفسرها ، رحمه الله » . وميز إسناداً آخر للمفضليات ، فقال (٤) : « الأشعار المفضليات ، حدثني بها الشيخ أبوعبدالله جعفر

---

(١) نخبة من كتاب الاختيارين ص ١٨ ـ ١٩ و ٣٤ من المقدمة . وانظر المفضليات ص ١٤ ـ ٢٢ .

(٢) وقد حققنا هذا الكتاب ولما ينشر .

(٣) فهرسة ابن خير ص ٣٩٠ .

(٤) » » » ٣٩٠ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ابن محمدبن مكي ، رحمه الله ،عن الوزير أبي مروان عبدالملك بن سراج، عن الوزير أبي القاسم إبراهيم بن محمد بن الإفليلي ، عن أبي القاسم أحمد بن أبان بن سيد ، عن أبي علي البغدادي ، عن أبي الحسن علي بن سليمان الأخفش مفسرها رحمه الله » .

ثم أتبع ذلك كله بإسناد ثالث لرواية الأصمعيات ، ينتهي بالأصمعي ، فقال : (١) « وحدثني بالأصمعيات خاصة أبو الحسين عبدالملك بن محمد بن هشام ، رحمه الله ، عن الأستاذ أبي عبدالله بن محمد بن السيد البطليوسي ، عن الفقيه أبي سعيد الوراق، عن أبي ذر عبد بن أحمد الهروي ، عن أبي بكر أحمد بن إبراهيم بن شاذان ، عن أبي محمد السكري ، عن أبي يعلى المنقري ، عن الأصمعي » .

فالأصمعيات إذاً كتاب مستقل ، يرويه التلاميذ عن الشيوخ . هكذا ولد، وهكذا عاش على مر القرون ، وإن كانت بعض قصائده قد يحويها كتاب المفضليات . ولعل هذه الظاهرة — أعني اشتراك الكتابين في بعض القصائد — هي التي شجعت علي بن سليمان الأخفش على جمع الاختيارين في مصنف واحدوشرحهما، دون أن يضيع معالم كل منهما . ولذلك رأينا في أسانيد ابن خير هذه وغيرها (٢) ما يميز كلا من الكتابين من الآخر في صنيع الأخفش أو روايته وإسناده .

بيد أننا إذا تتبعنا تاريخ كتاب الأصمعيات بعد ابن خير وجدنا أنفسنا في غموض لاتنيره صوى ولا معالم . فنحن لانسمع لرواية الأصمعيات ونسخها بذكر ، حتى ندرك القرن التاسع ، إذ يعرض السيوطي لشرح الشاهد .

أنَوْراً ، سَرْعَ ماذا ، يا فَرُوقُ وحَبْلُ الوَصل مُنْتَكِثٌ ، حذيقُ

فيقول عن قصيدته (٣) : « ثم وقفت على القصيدة بتمامها في القصائد الأصمعيات » .

(١) فهرسة ابن خير ص ٣٩١.

(٢) انظر أسانيد أخرى في فهرسة ابن خير ص ٣٩٠ - ٣٩١ .

(٣) شرح شواهد المغني ص ٢٤٣ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وعندما يؤلف البغدادي كتاب الخزانة ، ويسرد في مقدمته مصادره ، يغفل ذكر الأصمعيات ، مع أنه يحيل عليها في كتابه مرتين.(١) فكأنه لم يكن لديه نسخة منها يعتمدها فيما يعرض له . ولعل مما يرجح هذا القول أن البغدادي حينما تصدى لشرح الشاهد المتقدم الذكر ، قال في معرض شرحه(٢) : «قال السيوطي: ثم وقفت على القصيدة بتمامها في القصائد الأصمعيات » ، دون أن يعقب على ذلك بما يفيد رجوعه بنفسه إلى نسخة من الأصمعيات ، ليؤكد قول السيوطي أو يدفعه . فلو كان عند البغدادي نسخة منها لما احتاج إلى شهادة السيوطي ، أو لما اكتفى – على أقل تقدير – بما أورده له ، وإنما عززه بشيء من جهوده وتحقيقه .

وهذا العوز الذي عاناه البغدادي نعانيه نحن اليوم ، فما عُرف من الكتب العربية حتى الآن ليس فيه نسخة تامة من الأصمعيات. وما نشر باسم الأصمعيات هو بضع وخمسون قصيدة ، تضم ٧٧٥ بيتاً . فهل هذه هي جميع ما اختاره الأصمعي ؟

لقد ألقى هذا السؤال كثير من الباحثين ، وكان جوابهم النفي بالاجماع . وقد استعان بعضهم على هذا النفي بما ذكره ابن النديم في قوله : (٣) « وعمل الأصمعي قطعة كبيرة من أشعار العرب ، ليست بالمرضية عند العلماء ، لقلة غريبها ، واختصار روايتها » . فقالوا : إن بضع مئات من الأبيات لا يمكن أن تكون قطعة كبيرة من أشعار العرب ، فلا بد أن تكون الأصمعيات أكثر من ذلك (٤) .

وإذا كنا نحن نوافقهم في هذه النتيجة التي وصلوا إليها ، فاننا لا نوافقهم في المقدمة التي استعانوا بها .وإلا فمن يثبت لنا أن القطعة الكبيرة من أشعارالعرب

(١) الخزانة ٤ : ٢٣٥ و ٥٠٢ – ٥٠٤ .
(٢) شرح شواهد المغني للبغدادي ٢ : ٣٧٥ – ٣٧٦ .
(٣) الفهرست ص ٥٦ وانباه الرواة ٢ : ٢٠٣ .
(٤) نخبة من كتاب الاختيارين ص ١٢ من المقدمة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

قد عنى ابن النديم بها الأصمعيات وحدها ؟ ولم لا يكون قد أراد بها أيضاً الدواوين التي صنعها الأصمعي ؟

إن ابن النديم يستخدم (١) أحياناً كلمة « القطعة » من الأشعار ، وهو يقصد بها دواوين الشعر . ومن ذلك أنه قال عن السكري : إنه عمل (٢) « قطعة من القبائل » . ثم إذا نحن قارنا الأصمعيات بالدواوين التي صنعها الأصمعي ، تبين لنا أن تلك الدواوين هي قطعة كبيرة حقاً على حين أن الأصمعيات وحدها ، مهما كان قدرها ، لا تحتمل أن توصف بأنها « قطعة كبيرة من أشعار العرب » .

لقد صنع الأصمعي دواوين شعراء كثر ، منهم : النابغة الذبياني ، والحطيئة ، والنابغة الجعدي ، ولبيد ، وتميم بن أبيّ ، ودريد بن الصمة ، والأعشى الكبير ، ومهلهل ، ومتمم بن نويرة ، وأعشى باهلة ، وبشر بن أبي خازم ، والمتلمس ، وحميد بن ثور ، وسحيم بن وثيل ، وعروة بن الورد ، وحميد الأرقط ، وعمرو بن شأس ، والنمر بن تولب ، وأبو الأسود الدؤلي ، ومضرس ابن ربعي ، وأبو حية النمري ، والكميت ، ورؤبة ، والعجاج ، وجرير . كما صنع الأراجيز (٣) ، وأشعار هذيل (٤) . وهذه حقاً « قطعة كبيرة من أشعار العرب » . فكأن ابن النديم استغنى بهذه العبارة في ترجمة الأصمعي عن تكرار تعداد تلك الدواوين .

ونحن إذا كنا قد أعرضنا عن اعتماد ما اعتمده أولئك ، في إثبات نقص الأصمعيات ، فإن لدينا ، من الأدلة على إثبات ذلك النقص ، ما لا يحتاج إلى

---

(١) مصادر الشعر الجاهلي ص ٥٨٠ - ٥٨٢ .

(٢) الفهرست ص ١٥٧ - ١٥٨ .

«٣» الفهرست ص ٥٥ و ١٥٧ - ١٥٨ .

«٤» فهرسة ابن خير ص ٣٨٩ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

جدال أو احتراس . وهو أن في المصادر العربية نصوصاً كثيرة صريحة ، تذكر أصمعيات لا يضمها الكتاب المعروف بالأصمعيات .

١ ــ قال ابن قتيبة (١) : « وقد يحفظ [الشعر] ، ويختار ، على خفة الروي ، كقول الشاعر :

يا تَمْلِكُ ، يا تَمْلِ صِلِيني ، وذَرِي عَذْلي
ذَرِيني ، وسلاحي ، ثُمَّ شُدِّي الكفَّ بالغَزْلِ
ونَبْلي ، وفُقاها كَعَراقيب قطاً ، طُحْلِ
ومِنّي نَظْرةٌ بَعْدي ومِنّي نَظْرةٌ قَبْلي
وثَوباي جَديدانِ وأُرْخي شِرْكَ النَّعْلِ
وإمّا مُتُّ ، يا تَمْلِ ، فكوني حُرَّةً ، مِثْلي

وهذا الشعر مما اختاره الأصمعي » .

٢ ــ وقال المبرد (٢) « فأما ما وضعه الأصمعي في كتاب الاختيار فعلى غلطٍ وُضِع ــ وذكر الأصمعي أن الشعر لإسحاق بن سويد الفقيه ، وهو لأعرابي ، لا يعرف المقالات التي يميل إليها أهل الأهواء ــ أنشد الأصمعي :

برئتُ من الخوارج ، لستُ منهم ... من الغزّالِ ، منهم ، وابنُ باب
ومن قوم ، إذا ذكروا علياً ... يردون السلام على السحاب
ولكني أُحبُّ بكل قلبي ... ــ وأعلم أن ذاك من الصواب ــ
رسولَ الله ، والصديقَ ، حباً ... به أرجو غداً حسنَ الثواب » .

٣ ــ وقال أبو عبد الله اليزيدي عن عمه الفضل (٣) : « أنشدنا ابن حبيب للشمردل بن شريك ، يرثي أخاه واثلاً ــ مختارة من الأصمعيات ــ :

«١» الشعر والشعراء ص ٣١ ــ ٣٢ .

«٢» الكامل ص ٩٢١ .

«٣» أمالي اليزيدي ص ٣١ ــ ٣٤ . والقصيدة في ٤٣ بيتاً .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

لعَمري ، لئن غالتْ أخي دار فرقة وآبَ إلينـــا سيفُه ، وحمائلُه
وحلت به أثقالها الأرضُ ، وانتهى بمثواه منها ، وهو عَفٌ مآكلُه
لقد ضُمِّنَتْ جلدَ القوى ، كان يتّقى به جانب الثغر المخوف زلازلُه » .

٤ — وقال اليزي أيضاً[١] : « وقال الحادرة — وهي أصمعية — :

أظاعنة ، ولا تودّعُنـــا ، هندُ لتحزُننا ، عزٌ التصدفُ والكندُ » .

٥ — وقال ابن منظور[٢] : « يقال للأحمق : هو يَمْرُثُ الودَعَ ، يُشبَّهُ بالصبيّ . قال الشاعر :

والحِلمُ حِلمُ صبيٍّ ، يَمْرُثُ الودعه

قال ابن بري : أنشد الأصمعي هذا البيت في الأصمعيات لرجل من تميم ، بكماله[٣] :

السنُّ من جَلْفَزيزٍ ، عَوزَمٍ ، خَلَقِ والعقلُ عقل صبيٍ ، يَمْرُثُ الودعه » .

٦ — وقال السيوطي[٤] في قصيدة الشاهد :

أنوراً ، سَرْعَ ماذا ، يافَرُوقُ وحبل الوصل منتكثٌ ، حذيقُ

: « ثم وقفت على القصيدة بتمامها في القصائد الأصمعيات ، وعزاهـــا لأبي شقيق الباهلي ، واسمه جزء بن رباح ، قالها في يوم أرمام . وهي نيف وعشرون بيتاً ، وهذا مطلعها ، وبعده :

«١» شرح ديوان الحادرة ص ١١ — ١٣ . والقصيدة في ١٥ بيتاً .

«٢» اللسان « ودع » .

«٣» وهو في الجمهرة ٢ : ٢٨٥ منسوب إلى أبي دؤاد الرؤاسي .

ولأبي دؤاد أبيات ثلاثة في اللسان « علط » من هذا الروي وهذا العروض .

«٤» شرح شواهد المغني ص ٢٤٣ . وانظر شرح شواهد المغني للبغدادي ٢ : ٣٧٥ — ٣٧٦ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ألا زعمتْ عِلاقة أن سيفي يفلّلُ غربهُ الرأسَ الحليقْ

ولو شهدَتْ غداةَ الكوم قالت : هو العَضْبُ ، المهذْرَمةُ ، العتيق ».

٧ — وقال عبد القادر البغدادي[١] : « الشاهد الحادي والعشرون بعد الثمانمائة :

وقلن : على الفودوس أولُ مشربٍ أجل ، جَيرِ ، إن كانت أُبيحتْ دعاثرُهْ

والبيت أورده أبو محمد بن أحمد بن الخشاب مع بيت قبله ، وهو :

تحمّلَ من ذات التنانير أهلها وقلّصَ عن نهي الدفينة حاضرهْ

وهما من قصيدة لمضرس الأسدي ، أوردها الأصمعي في الأصمعيات . وهي قصائد اختارها لهارون الرشيد ، فاشتهرت بالأصمعيات . ولم أره كذا في شعر مضرس ، على ما رواه الأصمعي ، وإنما الرواية كذا :

وقلنَ : ألا الفردوسُ أولُ محضرٍ من الحي ، إن كانت أُبيرتْ دَعاثرُهْ

وهذا ليس فيه : أجل جير ، والذي فيه الشاهد إنما هو شعر طفيل الغنوي » .

٨ — وقال البغدادي أيضاً[٢] : « الشاهد الثاني والعشرون بعد التسعمائة ، وهو من شواهد س[٣] :

قد أتركُ القِرنَ مصفراً أنامِلُهُ كأن أثوابَهُ مجّتْ بفرصادِ

والبيت من قصيدة لعبيد بن الأبرص الأسدي ، أوردها الأصمعي في الأصمعيات . وهذا مطلعها :

طاف الخيال علينا ليلة الوادي من آل أسماء ، لم يُلْمِمْ بميعادِ » .

فهذه الأشعار الثمانية يذكر العلماء أنها من اختيارات الأصمعي ، ولكننا لا نراها في القصائد الأصمعيات المطبوعة .

«١» الخزانة ٤ : ٢٣٥ .

«٢» ٤ : ٥٠٢ — ٥٠٤ .

«٣» أي : من شواهد سيبويه .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وهذه نسخة مخطوطة قديمة (١) ، عنوانها « ما اختير من الأصمعيات » ، وعليها إسناد ينتهي بالأصمعي ، وهي مخرومة من وسطها ، وفيها ما يلي :

قصيدة الأسود بن يعفر :

نامَ الخَلِيُّ ، وما أحسُّ رُقادي والهمُّ مُحتضِرٌ لديَّ ، وسادي

ثم قصيدة الأسعر الجعفي :

قدبانَ قلبُكَ من سُليمَى ، فاشتفَى ولقدتَهُمُّ بذكرها بعدالكرى

ثم قصيدة جبيهاء الأشجعي :

أمَولَى بني تَيمٍ ، ألستَ مُؤدِّياً مَنيحتَنا ، فيما تؤدّى المنائحُ

ثم قصيدتا ذي الإصبع :

إنكما ، صاحبيَّ ، لن تدعا لومي ، ومهما أضِعْ فلن تسعا

و :

لِيَ ابن عمّ ، على ما كان من خلُقٍ ، مختلفان ، فأقليهِ ، ويَقليني

ثم قصيدة عبد يغوث بن وقاص :

ألا ، لاتلوماني ، كفى اللومَ مابيا وما لكما في اللوم خيرٌ ، ولا ليا

وهي مخرومة كلها . ثم بعض أبيات من قصيدة لقيط بن يعمر :

يادار عبلةمن مُحتلّها الجَرَعا هاجت لي الهمَّ ، والأحزان ،والوجعا

ثم قصيدة عباس بن مرداس :

لأسماءَ رسم ، أصبح اليوم دارسا وأقفرَ ، إلاّ رحْرَحانَ ، فَرَاكِسا

ثم قصيدة عمرو بن معد يكرب :

لمن طلل بالعَمْق ، أصبح دارسا تبدّل آراماً ، وعيناً ، كَوَادسا

وقد جاء من هذه القصائد التسع اثنتان في مطبوعة الأصمعيات هما قصيدة الأسعر ، وقصيدة عباس بن مرداس . أما السبع الباقية فمنها خمس جاءت في

(١) وهي محفوظة في مكتبة الامبروزيانا، بمدينة ميلانو ، بايطالية .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

المفضليات ، وهي قصائد : الأسود بن يعفر ، وجبيهاء الأشجعي . وذي الإصبع ، وعبد يغوث . ولكنها لم ترد هي والقصيدتان الأخريان – قصيدتا لقيط وعمرو – فيما نشر من الأصمعيات .

فهذه قصائد سبع في تلك النسخة المخطوطة ، ولعل فيها قصائد أخرى ذهب بها الخرم الذي أشرنا إليه . وهي كلها في كتاب ليس هو الأصمعيات ، بل « ما اختير من الأصمعيات » !

أضف إلى هذا كله أن المصادر العربية المتداولة تنقل إلينا أن ثمة قصائد هي من اختيار المفضل واختيار الأصمعي معاً :

١ – ففي ديوان الحادرة عن أبي عبد الله اليزيدي (١) : « قال عبد الرحمن : قال أبو سعيد (٢) عمّي : سمعت شيخاً من بني كنانة ، من أهل المدينة ، قال : كان حسّان بن ثابت إذا تنوشد الشعر قال : هل أُنشدت كلمة الحويدرة . قال أبو سعيد : يعني هذه – وهي اختيار المفضل والأصمعي (٣) – :

بكرت سُمَيّةُ غُدْوةً ، فتمتّعِ وغدت غُدُوّ مُفارِقٍ ، لم يرجع » .

والقصيدة هذه هي المفضلية ٨ ، وليست في مطبوعة الأصمعيات .

٢ – وجعل ابن قتيبة الشعر على أضرب ، « ضرب منه تأخّر معناه ، وتأخّر لفظه » وقال فيه (٤) : « ومن هذا الضرب قول المرقش :

هل بالديار ، أن تُجيبَ ، صَمَمْ لو أن حيّا ناطقا كَلَّمْ

يأتي الشبابُ الأقورينَ ، ولا تَغْبِطْ أخاكَ أن يقال : حَكَمْ

(١) شرح ديوان الحادرة ص .

(٢) أبو سعيد هو الأصمعي .

(٣) وقال أبو عبيدة : هي من مختار الشعر ، أصمعية مفضلية . الأغاني ٣ : ٨٠ .

(٤) الشعر والشعراء ص ١٣ – ١٨ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والعجب عندي من الأصمعي إذ أدخله في متخيَّره ، وهو شعر ليس بصحيح الوزن ، ولا حسن الروي ، ولا متخيّر اللفظ ، ولا لطيف المعنى . ولا أعلم فيه شيئاً يستحسن إلا قوله :

النشْرُ مِسْكٌ ، والوجوه دنا نيرٌ ، وأطراف الأكفِّ عَنَمْ

ويستجاد منه قوله :

ليس على طول الحياة ندمْ ومِن وراء المرء ما يَعلمْ » .

والأبيات هذه من قصيدة للمرقش الأكبر ، وهي المفضلية ٥٤ ، ولم ترد في مطبوعة الأصمعيات .

٣ — وقال البطليوسي في باب معرفةٍ في الخيل وما يستحبّ من خلقها (١) :

« وأنشد ابن قتيبة في هذا الباب :

مُتقاربِ الشَّفِنات ، ضَيِّقِ زَوْرُه رَحْبِ اللَّبانِ ، شديدِ طَيٍّ ضَرِيس

الشعر لعبد الله بن سليمة بن الحارث ، أنشده الأصمعي في اختياراته . وقبله :

ولقد غدوتُ على القنيصِ بشَيْظَم كالجِذْعِ ، وسْطَ الجنةِ ، المغروس

قال الأصمعي : يريد أن زوره ضاق ، فتقاربت ثفنات يديه » . والقصيدة هذه هي المفضلية ١٩ ، وليست فيما نشر من الأصمعيات .

٤ — وقال ابن منظور (٢) : « قال الجرمي : الجحْل : العظيم من كل شيء . ويقال جاء مقدَّحةً عينُهُ ، وجاحلةً عينه ، إذا غارت . قال ثعلبة بن عمرو العبدي :

وأهلكَ مُهرَ أبيك الدوا ءُ ، ليس له ، من طعام ، نَصيب

(١) الاقتضاب ص ٣٢٩ . وللبطليوسي رواية للأصمعيات لها إسناد متصل بالأصمعي . انظر فهرسة ابن خير ص ٣٩١ .

(٢) اللسان (جحل) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فتُصبحُ جاحلةً عَينُـــهُ لِحنوِ استِهِ ،وصَلاهُ ، غُيوب

قال : والقصيدة في الجزء الأول من الأصمعيات » . قلت : وهي المفضلية ٦١ ، وليست في مطبوعة الأصمعيات .

وقال البكري (١) : « وأنشد أبو علي شعراً ، يروون أنه للشعبي ، أوله :

أعينيَّ ، مهلًا ، طالما لم أقل مهـــلا وما سَرَفاً مِالآنَ قلتُ ، ولاجَهْلا

ما أعجب أمر أبي علي ! هذا الشعر أشهر بالنسبة إلى القحيف العقيلي من أن يرتاب به مرتاب ، أو يشك فيه شاك . رواه الأصمعي والمفضل ، وهو ثابت في اختياراتهما ، وقد رواه أبو علي هناك ، وفي آخره زيادة ، وهي :

ومن أعجب الدنيا إليّ زجاجةٌ تظل أيادي المنتشين بها فُتْلا

يَصبُّونَ فيها ، من كُروم ،سلافة يَروحُ الفتى عنها كأن به خَبْلا»

وليس فيما طبع من المفضليات والأصمعيات ذكر لهذه القصيدة .

ومن جميع ماذكرناه يكون لدينا عشرون (٢) قصيدة هي من الأصمعيات ولا نجدها في اختيارات الأصمعي المطبوعة . ولا شك أن ثمة قصائد أخرى من الأصمعيات تشارك هذه في مصيرها المجهول .

وقد استوقفت هذه الحقيقة كثيراً من الباحثين ، فانطلقوا يحاولون معرفة تلك القصائد ، والمواطن التي استقرت فيها ، بعد أن فقدتها الأصمعيات . وكان أمراً طبيعياً أن يتهموا اختيارات المفضل بأنها أغارت عليها ، وجرّدتها من أجود قصائدها : فمن قائل إنها قد أخذت منها ٢٠ قصيدة ، ومن زاعم أنها قد سلبتها مجموع ما أضيف إلى المفضليات الثمانين التي اختارها المفضل ، ومن مدّع أنها احتجزت من اختيارات الأصمعي أكثر من نصفها بعد أن رغبت عن الباقي لقلة جدواه .

---

(١) سمط اللآلي ص ٧٥١ .

(٢) يضاف اليها أيضاً قصيدة المتلمس المروية في ديوانه ورقة ١٦ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ولئن كانت هذه الدعاوى قد تفسر وجود بعض القصائد التي أشرنا إليها في المفضليات من دون الأصمعيات ، على الرغم من كونها من اختيارات المفضل والأصمعي ، إنها لتصطدم بتلك القصائد الأخرى وأمثالها ، مما نص العلماء على أنه من الأصمعيات ،ولا وجود له في مطبوعة الأصمعيات . وإلا فلم سميت « بقية الأصمعيات التي أخلت بها المفضليات » ؟

أما أنها تعني القصائد الأصمعية التي اختلطت بالمفضليات وضاعت بينها فمدفوع . وأمّا أنها تعني القصائد الأصمعية التي أغفلتها المفضليات فمشكوكٌ فيه . وأمّا أن يكون المراد بها « القصائد الباقية من الأصمعيات التي أساءت إليها المفضليات » فإنه — على صحته — قد يعترض عليه بأن افتقاد بقية الأصمعيات تلك القصائد الأخرى لا يمكن أن يتفق والعبارة التي اختتمت بها نسخة كبرل : « نجزت جملة المفضليات والأصمعيات » . فالنسخة هذه تضم — كما يدعي صانعها — جميع اختيارات المفضل والأصمعي . فكيف يكون هذا مع وجود أصمعيات — وثمة غيرها أيضاً — لا يضمها هذا الكتاب ؟

الحق أن كلمة « بقية » تحمل في مضمونها ردّ ذلك الاعتراض . فهي تعني أن ما تحتها هو قصائد ، سلمت من الضياع ، وبقيت من دون غيرها ، فجمعها صانع النسخة ، وتوجها بهذا العنوان ، وأن ثمة أصمعيات أخرى فقدت فلم يدر كها . أما قوله « جملة المفضليات والأصمعيات » فالراجح أن المراد به هو جملة ما وقف عليه من ذينك الكتابين ، مع الزيادات الملحقة بها . يدل على صحة ذلك أن في نسخة المتحف البريطاني ٩ قصائد نسبت إلى المفضليات — وهي رائية جبيهاء الأشجعي ، وميمية عوف بن الخرع ، ورائية عتيبة بن مرداس ، وميمية خالد ابن الصقعب ، وبائية المسيب بن علس ، وميمية الحارث بن وعلة ، وقصائد عمرو ابن قميئة : الحائية والدالية والميمية — ولا تضمها نسخة كبرل ، على الرغم من دعوى صاحبها أنها تتضمن جملة المفضليات والأصمعيات .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وما دام الأمر كذلك فإن اعتماد الباحثين على المفضليات ــ في روايتها الموثّقة ــ لاكتشاف الأصمعيات المفقودة ، سبيل مصطنعة ، ليس لها سند ، ولا عليها دليل . فلقد روى الأنباري المفضليات في إسناد متصل بالمفضل ، وليس من المعقول أن يروي المفضل بعض اختياراته عن الأصمعي . فلندع هذه الرواية المسندة ، ولنولّ وجوهنا قِبل الروايات الأخرى من المفضليات ، لعل فيها ضالتنا المنشودة :

أما رواية المرزوقي فقد جاءت في نسخة سقيمة ناقصة لا إسناد لها ولا وضوح . وكذلك حال رواية نسخة دار الكتب المصرية ، الأمر الذي يجعلنا في حلّ من الاستفادة منها هنا . وأما رواية التبريزي ، وما اشتق منها في نسخ كبرل وفينا وفيض الله وبيل ، فإنها قد زادا على رواية الأنباري ٣ قصائد ، ليست ــ فيما يبدو ــ من الأصمعيات . فقد نص في واحدة منها أنها من رواية ابن حبيب (١) ، لا من رواية المفضل . وذكر في الثانية أنها نقلت من بعض نسخ المفضليات . ولو كانت الثالثة من طريق الأصمعي لما أغفل ذلك .

ليس لنا ، بعد هذا ، سوى مصدرين :

أحدهما هو نسخة المفضليات بالمتحف البريطاني . ففي هذه النسخة ٢٣ قصيدة زيادة على رواية الأنباري ، إذا أسقطنا منها القصائد الخمس التي هي في الزيادات من الكتابين ، بقي لدينا ١٨ قصيدة ، نجد منها ٩ في بقية الأصمعيات ، و ٧ في الجزء الثاني من كتاب الاختيارين . فليس بعيداً أن تكون تلك القصائد الثماني عشرة هي من الأصمعيات(٢) التي ألحقت ببعض نسخ المفضليات ، مادامت مفقودة في الروايات الأخرى للمفضليات .

(١) إن محمد بن حبيب أقرب في الرواية إلى المفضل منه إلى الأصمعي . فقد روى عن ابن الأعرابي ، تلميذ المفضل وربيبه ، ولم يذكر له تلمذة للأصمعي . وليس بعيداً أن يكون ابن حبيب قد استقى هذه القصيدة من نوادر ابن الأعرابي . انظر الخزانة ٣ : ٥١٠

(٢) مجموع أشعار العرب ١ : ٩ ــ ١٢ من المقدمة ونخبة من كتاب الاختيارين ص ٢٥ ــ ٢٦ من المقدمة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والمصدر الثاني هو كتاب الاختيارين . فقد ثبت في عنوانه أنه يضم اختيارات المفضل واختيارات الأصمعي . ولو أن هذا الكتاب جاءنا كاملًا لاستطاع أن يرد إلينا الأصمعيات المفقودة برمتها[1] ، ولكنه — مع الأسف الشديد — لم يعرف منه حتى الآن سوى الجزء الثاني ، الذي يحوي بين أشعاره ٥٨ قصيدة ليست في نسخ المفضليات ، ولا في بقية الأصمعيات ، ولا الزيادات من الكتابين . وقريب جداً أن تكون هذه القصائد هي بعض الأصمعيات المجهولة . فاذا أضفنا إلى هذا أن الجزء الأول من كتاب الاختيارين لا بد أن يضم حوالي ٢٥ أصمعية ، على أقل تقدير ، كان لدينا من قصائد الأصمعيات ما يلي[2] :

٥٦ قصيدة في بقية الأصمعيات .

٥٨ قصيدة في الجزء الثاني من الاختيارين .

٢٥ » » الاول » »

وبذلك يصبح مجموع اختيارات الأصمعي ١٤٠ قصيدة ، وهو أمر طبيعي معقول .

— ٢ —

نعود ، بعد هذا كله ، إلى عبارة ابن النديم : «وعمل الأصمعي قطعة كبيرة من أشعار العرب ، ليست بالمرضية عند العلماء ، لقلة غريبها ، واختصار روايتها» . وإذا كنا قد استبعدنا قصر هذه القطعة الكبيرة على الأصمعيات ، وذهبنا إلى

«١» نخبة من كتاب الاختيارين ص ٢١ و ٣٤ من المقدمة .

«٢» لم نذكر ههنا القصائد الثماني عشرة الموجودة في نسخة المتحف ، ولا القصائد السبع الزائدة في ما اختير من الاصمعيات ، لأن بعضهـــا في الجزء الثاني من الاختيارين ، وبعضها الآخر من الراجح أنه في الجزء الاول .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

جعلها [١] عامة لكل ما صنعه الأصمعي من أشعار ، فإننا لا نستطيع أبداً أن ننكر أن قوله « ليست بالمرضية ... » هو حكم يشمل — فيما يشمل — اختيارات الأصمعي . ذلك لأن هذه الاختيارات هي جزء مما عمله الأصمعي من أشعار العرب ، يصيبه من حكم ابن النديم ما أصاب سائر الأجزاء الأخرى . فإذا صح هذا — وهو صحيح — فما هو مراد ابن النديم بقوله « لقلة غريبها ، واختصار روايتها » ؟

لعل المستشرق فلوجل [٢] هو أول من عرض لتفسير ذلك إذ قال : « لقد فقدت الأصمعيات تقدير العلماء ، لأنها مقطعات مختارة من قصائد ، ليست غريبة — أي : هي شائعة متداولة — لدى جمهور العلماء والرواة » . والحق أن هذا الزعم بعيد مما رمى إليه ابن النديم ، لأنه أخطأ حين جعلها مقطعات ، ووهم حين بنى حكمه على ما جاء في المطبوعة الأوربية للفهرست : « لقلة غوبتها » [٣] . وهذا تصحيف واضح ، صوابه : « لقلة غريبها » [٤] ، كما أثبتناه نحن . وإذا كان ذلك كذلك فإن رغبة العلماء عن الأصمعيات تعود إلى قلة الغريب ، واختصار الرواية .

أما قلة الغريب فقد قيل : إن ابن النديم عنى بها أن أشعار الأصمعيات ليس فيها كثير من المفردات الغريبة ، ولذلك زهد العلماء فيها . فقد كانوا في تلك الحقبة يصرفون جهودهم إلى دراسة الأشعار وشرحها ، بعد أن تم جمعها في عهد

---

(١) وهو خلاف ما زعمه بعض المعاصرين . انظر ص ١٠ من مقدمة مجموع أشعار العرب و ٢ : ١٦ من مقدمة ليال للمفضليات و ص ١٢ من مقدمة نخبة من كتاب الاختيارين و ص ٥٨١ من مصادر الشعر الجاهلي .

(٢) ص ٨٠ من كتاب مدارس العرب النحوية الذي طبع عام ١٨٦٢ وانظر مجموع أشعار العرب ١ : ١٠ من المقدمة .

(٣) وكذلك جاءت في مطبوعة الاستقامة ص ٨٩ .

(٤) إنباه الرواة ٢ : ٢٠٣ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

طبقة الأصمعي . فهم يتتبعون الشعر الذي تكثر فيه الألفاظ الغريبة الحوشية ، والعبارات المشكلة ، ليذللوا صعبها ، وييسروا قبولها للناشئين والمستعربين . يضاف إلى هذا أن النشاط اللغوي الذي اتسع ميدانه ، منذ القرن الثاني ، كان همه الأشعار التي يستشهد بها في تثبيت نظرية ، أو ترجيح مذهب ، أو توضيح قاعدة ، أو تفسير كلمة ، أو شرح معنى . ولما لم يجد هذا النشاط له مادة في الأصمعيات ازداد انصراف العلماء عنها .

بيد أننا نرى هذا القول لا يخلو من الوهن . فأشعار الأصمعيات ليست أقل غريباً من المفضليات . أضف إلى هذا أن الدواوين التي صنعها الأصمعي — وهي مشمولة بحكم ابن النديم — هي ، بلا شك ، كثيرة الغريب ، غزيرة الحوشي . فقد جمع الأصمعي أكثر من ٢٠ ديواناً لشعراء جاهليين ، وإسلاميين ، وأمويين ، منهم : النابغة ، ولبيد ، والأعشى ، وطرفة ، وبشر ، وحميد الأرقط ، ورؤبة ، والعجاج ... ومحال أن تكون أشعار هؤلاء قليلة الغريب . فهل كان ابن النديم يعني بعبارته تلك أن ما عمله الأصمعي من الأشعار اقتصر فيه على جمع الشعر ، فلم يفسر من غريبه إلا القليل ؟

وأما اختصار الرواية فقد قيل : إن المراد به أحد أمرين : إما إسناد الرواية ، وإما أبيات القصائد . وقد فسر الأمر الأول بأن الأصمعيات قد انقطعت روايتها بعد الأصمعي ، فكان إسنادها غير مكتمل الحلقات (١) . أو أن الأصمعي لم يسند روايته فيها إلى من أخذ عنهم من العلماء والرواة ، فانقطع إسنادها عنده . والحق أن إسناد الأصمعيات لم ينقطع — كما أثبتنا قبل — بعد الأصمعي . وليس توقف الأصمعي بالرواية عند نفسه مما ينتقص صنيعه ، أو يعيبه ، أو يزهد فيه . فقد كان أكثر أقرانه منتهى الإسناد ، وقلما كانوا يسندون إلى من قبلهم (٢) .

---

(١) المفضليات للأنباري ٢ : ١٦ من المقدمة .

(٢) مصادر الشعر الجاهلي ص ٥٨٢ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والتفسير الثاني لاختصار الرواية باختصار رواية أبيات القصائد ، يعني أن الأصمعي كان يختار من القصائد مقطعات أو أبياتاً ، ويغفل ذكر مادونها . والاعتراض على هذا أن حماسة أبي تمام كان لها — على الرغم من كونها مقطعات وأبياتاً — مكانة مرموقة بين العلماء ، من ميلادها إلى عصرنا الحاضر . فلمَ تُقابَلُ الأصمعياتُ بالإعراض ، والحماسة بالاهتمام ، مع اشتراكهما في هذه السمة ؟

بل إن اشتراكهما هـذا ليس مطلقاً ، لأن الأصمعيات هي في الأصل من اختيارات القصائد ، والحماسة هي من اختيارات المقطعات .

نقول هذا كله ، ونحن ما نزال قاصرين اختصار الرواية على الأصمعيات . فإذا وسعنا دائرتها ، ووضعناها في موضعها الذي أراده لها ابن النديم ، وهو جميع ماصنع الأصمعي من أشعـــار ، بدا تهافت مافسرت به . فالدواوين التي عملها الأصمعي لم ينقطع إسنادها بعده ، ولم تكن أيضاً مقطعات وأبياتاً .

لقد قرأها عليه تلاميذه ، ورووها لمن بعدهم دون انقطاع . ووصلنا منها جزء ذو أهمية ، وحسبنا مثلاً منه ههنا دواوين الشعراء الستة . فقد رواها ابن خير الإشبيلي (١) بإسناد متصل بالأصمعي : « حدثني بها قراءة مني عليه الوزيرُ أبو بكر محمد بن عبد الغني بن عمر بن فندلة ، رحمه الله ، عن الأستاذ أبي الحجاج الأعلم ، عن الوزير أبي سهل بن يونس بن أحمد الحراني ، عن شيوخه : أبي مروان عبيد الله بن فرج الطوطالقي ، وأبي الحجاج بن يوسف بن فضالة ، وأبي عمر بن أبي الحباب ، كلهم يروونها عن أبي علي البغدادي عن أبي بكر بن دريد ، عن أبي حاتم عن الأصمعي ، رحمه الله » .

إذاً فما هو المراد باختصار الرواية ؟

---

(١) فهرسة ابن خير ص ٣٨٨ — ٣٨٩ . وانظر منه ص ٣٩٢ — ٣٩٤ حيث يورد أسانيد لاراجيز رؤبة والعجاج ، ولشعر عمرو بن أحمر عن الأصمعي . وفي إرشاد الاريب ١ : ٦٠ ، أن أبا نصر الباهلي نقل إلى أصبهان مصنفات الأصمعي وأشعار الجاهلية والإسلام مقروءة عليه .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

لنعد إلى الأشعار التي عملها الأصمعي ، فلعل فيها الجواب الفصل . يقول ابن النديم ، في معرض حديثه عن شعر الكميت (١) : « عمله الأصمعي ، وزاد فيه ابن السكيت ... ورواه ابن السكيت عن نصران أستاذه . قال نصران : قرأت شعر الكميت على أبي حفص عن عمر بن بكير » . وقال أيضاً (٢) : « نقائض جرير والفرزدق ، عملها أبو عبيدة معمر بن المثنى . ورواها الأصمعي دون تلك الرواية » .

ومن هذين النصين نرى أن شعر الكميت ، في رواية الأصمعي ، أقل منه في رواية نصران عن أبي حفص عن عمر بن بكير ، ونقائض جرير والفرزدق ، في رواية الأصمعي أيضاً ، أقل منها في رواية أبي عبيدة . وعندي أن هذا هو معنى اختصار الرواية في عمل الأصمعي ، وقد فسر ابن النديم بقوليه ههنا عبارته تلك .

لقد كان أبو سعيد الأصمعي شديد التأله ، صدوقاً في كل شيء(٣) . وقد جعله هذا يتشدد في نقد الروايات ، ليطرح زائفها ، وينقل الموثوق منها . ولذلك جاءت روايته المديوان الذي يجمعه أقل من رواية غيره . وأقرب دليل على هذا مانجده في ديوان امرىء القيس . فقد قدّم له الأعلم الشنتمري ، ولدواوين الشعراء الخمسة الآخرين ، بقوله (٤) : « واعتمدت ، فيما جلبته من هذه الأشعار ، على أصح رواياتها ، وأوضح طرقاتها . وهي رواية عبدالملك بن قريب الأصمعي ... وأتبعت ماصح من رواياته قصائد متخيرة من رواية غيره » . فكان أن روى لامرىء القيس

---

(١) الفهرست ص ١٥٨ .

(٢) الفهرست ص ١٥٨ .

(٣) المزهر ٢ : ٤٠٤ .

(٤) ديوان امرىء القيس ص ٤ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٢٧ قصيدة (١) ،جعل خاتمتها مايلي (٢) : « قال أبو حاتم هذا آخر ماصح للأصمعي من شعر امرىء القيس . والناس يحملون عليه شعراً كثيراً ، وليس له ، إنما هو لصعاليك ، كانوا معه . كملت رواية أبي حاتم عن الأصمعي » . ثم أتبع ذلك ٦ قصائد من رواية الكوفيين ،بعد أن قدّم لها بقوله : « ونذكر قصائد متخيرات مما لم يروه أبو حاتم » .

وإذا رجعنا إلى شعر امرىء القيس ، في رواياته الأخرى ، رأيناه يبلغ المائة من القصائد ، ويربو عليها . فهذه الروايات تزيد على رواية الأصمعي سبعين قصيدة ونيفاً ، روي كثير منها عن المفضل ، وأبي عبيدة ، وابن الأعرابي ، وأبي عمرو الشيباني . بل إن رواية المفضل — وهو أوثق الكوفيين — بلغت ٤١ قصيدة (٣) ، بزيادة ١٤ قصيدة على رواية الأصمعي ، من حيث العدد .

ولا يعني هذا أن الأصمعي لم يعرف سوى ماروى من شعر امرىء القيس . ذلك لأنه قد تناول بعض ماروا ه غيره بالنقد . فقد روى الطوسي عن ابن الأعرابي ، عن المفضل ، لامرىء القيس ، القصيدة التي مطلعها :

أَحارِ بنَ عمرٍو ، كأنّي خَمِرْ ويعدُو على المـــرءِ مايأتَمِرْ

معلقاً عليها بقوله: (٤) « روى هـــذه القصيدة أبو عمرو والمفضل وغيرهما . وقال

---

(١) استثنينا منها قصيدة واحدة وهي رقم ٢٢ لأن الأعلم قال في شرحهـــا : « كان الأصمعي يقول : امرؤ القيس ملك ، ولا أراه يقول هذا . فكأن الأصمعي أنكرها » . ديوان امرىء القيس ص ١٣٧ . وانظر ص ٥٠٥ من مصادر الشعر الجاهلي .

(٢) ديوان امرىء القيس ص ١٤٩ . والعبارة مختلة هناك .

(٣) هي في شرح الطوسي ٤٢ قصيدة . وقد استثنينا منها رقم ٢٠ لان الطوسي نفسه قال فيها : « وليست في رواية المفضل . وزعم ابن الكلبي أنها لرجل يلقب بالذائد » . ديوان امرىء القيس ص ٤٤٤ .

(٤) ديوان امرىء القيس ص ٤٢٣ — ٤٢٤ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الأصمعي : أنشد هذه القصيدة أبو عمرو بن العلاء لرجل من النمر بن قاسط ، يقال له : ربيعة بن جشم » .

وروى ابن النحاس لامرىء القيس قصيدة مطلعها :

تنكَّرَتْ ليلَى عنِ الوَصْلِ ونأتْ ، ورَثَّ مَعاقدُ الحَبْلِ

وأتبعها بالعبارة التالية (١) : « قال ابن دريد : دفعها الأصمعي ، ورواها قوم لابن أحمر . وهي في أصل اليزيدي » .

على أن اختصار رواية الأصمعي لما ينته عند هذا الحد ، وإذا كنا قد رأيناه متمثلاً في قصائد امرىء القيس ، من حيث العدد ، فان له وجهاً آخر ، تمثله لنا رواية القصيدة الواحدة ، في تعداد أبياتها . فالقصيدة الأولى من ديوان امرىء القيس مثلاً — وهي المعلقة — رواها الأصمعي في ٧٧ بيتاً . ورواها أبو سعيد الضرير ، والسكري ، وابن الأنباري ، والزوزني ، وأبو سهل ، والتبريزي ، بزيادة ٥ أبيات . ورواها الطوسي بزيادة ٦ أبيات . أما أبو زيد القرشي فزاد فيها ١٣ بيتاً لم يروها الأصمعي (٢) . والمثال الآخر هو القصيدة الثالثة من هذا الديوان : رواها الأصمعي في ٥٥ بيتاً ، فزاد فيها أبو سهل ١٢ بيتاً ، والسكري والطوسي ١٦ بيتاً ، وابن النحاس ١٧ بيتاً (٣) .

تلك هي صورة اختصار الرواية ، فيما صنع الأصمعي من الأشعار . فهي — في وجهها — تمثل النقص الكبير الذي تتصف به رواية الأصمعي ، بالنسبة إلى غيره من الرواة . والأصمعيات — وهي جزء مما صنع الأصمعي — لا تخلو من أن

---

(١) ديوان امرىء القيس ص ٤٣٣ .

(٢) ديوان امرىء القيس ص ٣٦٧ — ٣٦٨ وجمهرة أشعار العرب ص ٨٧ — ١٠٥ من المطبوعة الخيرية .

(٣) ديوان امرىء القيس ص ٣٨١ — ٣٨٩ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

تحمل آثار السمات المميزة لرواية صانعها. ولما كانت هذه الاختيارات لاتضم ديواناً كاملاً لشاعر ، أو قبيلة ، فإننا سنقتصر فيها على بيان الوجه الثاني من اختصار الرواية ، أعني : اختصار الرواية في القصيدة الواحدة . وهذا نتلمسه واضحاً فيما بقي لدينا من الأصمعيات . وها نحن أولاء نعرض بعض ذلك فيما يلي :

القصيدة ١ رواها الأصمعي في ١١ بيتاً ، وزيد فيها بيتان في كل من شرح شواهد المغني ص ١٦٧ والخزانة ١ : ١٢٦ .

القصيدة ١٠ رواها الأصمعي في ٢٧ بيتاً ، وهي في منتهى الطلب ١ : ٢٤٦ بزيادة بيتين .

القصيدة ١٢ رواها الأصمعي في ٣٤ بيتاً ، وقد أورد البغدادي زيادة ٨ أبيات في الخزانة ٤ : ١٢٣ — ١٢٥ .

القصيدة ١٤ رواها الأصمعي في ٢٤ بيتاً ، وهي في الاغاني ١٨ : ١٥٥—١٥٦ بزيادة ٧ أبيات .

المقطوعة ١٧ رواها الأصمعي في ٣ أبيات ، وهي في كتاب بكر وتغلب ص ٦١ في ١٠٠ بيت .

المقطوعة ١٨ رواها الأصمعي في ٥ أبيات ، وهي بزيادة ٥ أبيات أخرى في الأغاني ٣ : ٤ و ١٠ والعيني ٤ : ٣٦٤ .

القصيدة ٢٤ رواها الأصمعي في ٣٣ بيتاً ، وهي في الخزانة ١ : ٩٢ — ٩٧ بزيادة بيت واحد ، وفي جمهرة أشعار العرب ص ٢٧٠ — ٢٧٣ بزيادة ثلاثة أبيات .

القصيدة ٢٥ — ٢٦ رواها الأصمعي في ٤٥ بيتاً ، وفي الأمالي ٢ : ١٤٨ — ١٥١ زيادة ٦ أبيات . وفي منتهى الطلب ٢ : ٢٠٢ — ٢٠٥ زيادة ٧ أبيات .

القصيدة ٢٨ رواها الأصمعي في ٢٦ بيتاً ، وفي الاغاني ٩ : ٤ — ٥ زيادة ٣ أبيات . وفي شرح الحماسة للتبريزي ٢ : ٣٠٤ — ٣٠٩ زيادة بيتين .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

القصيدة ٢٩ رواها الاصمعي في ١٦ بيتاً ، وهي بزيادة بيتين في أمالي ابن الشجري ص ١٣ والخزانة ٣ : ١٦٦ .

المقطوعة ٣٦ رواها الأصمعي في ٤ أبيات وزاد فيها بيتين كل من المؤتلف ص ١٥٦ والخزانة ١ : ٢٠ والتاج (خرق) .

المقطوعة ٤٩ رواها الأصمعي في ٤ أبيات ، وهي في ديوان طرفة ص ١٠٤ — ١١١ في ٢١ بيتاً .

المقطوعة ٥١ رواها الأصمعي في ٦ أبيات ، وزاد فيها ٣ أبيات ، كل من معجم الشعراء ص ٨٦ ، وشرح شواهد المغني ص ١٣٨ ، والخزانة ٤ : ١٨٧ .

القصيدة ٥٣ رواها الأصمعي في ٩ أبيات ، وهي في الأمالي ٢ : ١٢٩ — ١٣٤ في ٢١ بيتاً .

هذه النماذج الأربعة عشر — ولا سيما ١٢ و ١٤ و ١٧ و ١٨ و ٢٥ و ٤٩ و ٥٣ — تؤكد أن ماجمعه الأصمعي في كتابه أقل منه في رواية غيره . إنها تجلي لنا اختصار الرواية ، بما لايدع مجالاً للنقاش واللجاج .

ولكن هذه الظاهرة إذا كانت تُرَدّ ههنا بعض جوانبها إلى تشدد الأصمعي في نقد الروايات ، فإن لها جوانب أخرى لايمكن أن تفسر بذلك . فالمقطوعة ٤٠ رواها الأصمعي في ٤ أبيات ، وهي نفسها تجدها في روايته لديوان امرىء القيس في ١٠ أبيات (١) . ولو كان نقد الرواية هو العامل الوحيد الذي يتحكم في صنيع الأصمعيات لكانت هذه المقطوعة ١٠ أبيات فيها ، لانه لم يروها كذلك في الديوان إلا بعد أن وصلته بأسانيد ، يرتضيها ميزانه النقدي . وما دامت قد جاءت في الأصمعيات أقل من نصفها في الديوان فلا بد من وجود عوامل أخرى كانت سبب اختصار روايتها .

---

(١) ديوان امرىء القيس ص ١١٩ — ١٢٢

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ولعلنا لانبعد عن الحقيقة إذا حاولنا أن نجد هذه العوامل الأخرى في طبيعة كتاب الأصمعيات . إنه — قبل كل شيء — كتاب اختيارات . والاختيارات ، خلافاً للدواوين ، يتحكم في جمع أشعارها — بالإضافة إلى توثيق الرواية — مؤثرات نقدية : معنوية ، أو فنية ، أو نفسية ، أو سياسية ، أو اجتماعية ، تنتقي مايلائمها ، وتسقط مادونه .

وهكذا يكون عامل اختصار الرواية في الأصمعيات مجموعة من المقاييس التقويمية المعقدة ، يمكننا أن نلخصها تحت اسم النقد ، وهو ذو شقين : نقد للإسناد يختار به أوثق الروايات وأصحها ، ونقد للمتن يختار به أجود الأشعار ، وأقربها إلى نفسه ومعاييره . ولذلك رأينا كثيراً من أشعار الأصمعيات مختصر الرواية ، حتى كانت المقطعات فيها أكثر عدداً من القصائد ، على الرغم من أن كتابها هو من اختيار القصائد ، لا من اختيار المقطعات .

إن في بقية الأصمعيات ٢٩ مقطوعة (١) ، لايبلغ عدد أبيات كل منها العشرة ، ومنها مالا يتجاوز الخمسة . فالمقطعات : ٥ و ٤٥ و ٤٦ كل واحدة منها بيتان فقط . والمقطعتان ١٧ و ٤١ كل منهما ثلاثة أبيات . ولكن هذا لا يجيز لاحد الادعاء أن الأصمعيات كلها هي مقطعات اختارها الأصمعي من قصائد(٢) ، ذلك لأن ثمة عدداً كبيراً من أشعارها إنما هو قصائد ، لم يسقط منها الأصمعي شيئاً . ومثالنا في هذا ذوات الارقام : ٢ و ٣ و ٧ و ٨ و ١١ و ١٥ و ١٩ و ٢١ و ٢٣ و ٤٢ و ٤٤ و ٥٠ و ٥٥ و ٥٦ ، من بقية الأصمعيات . وهذه القصائد ليست

---

(١) وهي ذوات الارقام : ٤ و ٥ و ٦ و ١٣ و ١٧ و ١٨ و ٢٠ و ٢٢ و ٣٠ و ٣١ و ٣٢ و ٣٣ و ٣٥ و ٣٦ و ٣٧ و ٣٨ و ٣٩ و ٤٠ و ٤١ و ٤٣ و ٤٥ و ٤٦ و ٤٧ و ٤٨ و ٤٩ و ٥١ و ٥٢ و ٥٣ و ٥٤ . مع العلم أن عدد القصائد والمقطعات كله هو ٥٦ .

(٢) وهو ما زعمه فلوجل ومعظم حسين .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

كاملة فحسب ، وإنما قد نجد أيضاً في رواية الأصمعي لها ما ليس في روايات غيره

تلك هي قصة ما أشار إليه ابن النديم ، من أثر قلة الغريب ، واختصار الرواية ، في قيمة الأصمعيات ، والأشعار التي جمعهـــا الأصمعي . وإذا فصلنا الأصمعيات عن سائر ما صنع الأصمعي كان لدينا أسباب أخرى ، ظاهرت قلة تفسير الغريب ، واختصار الرواية ، على إضعاف مكانة الأصمعيات لدى العلماء . ومن ذلك أن قسماً ظاهراً من أشعارهـا لا يعرف شيء عن أصحابه ، ففي بقية الأصمعيات ٩ قصائد[١] ، لا نعرف عن أصحابهـا سوى الاسم ، أو الكنية ، أو النسبة . وهذا ــ بلا شك ــ يجعل العمـل في شرح الشعر وتفسيره ، وفهم مدلولاته ، عسير المسلك ، قليل الجدوى .

ولا ننس ههنا سبباً آخر ، كان لهأكبر الأثر في رغبة العلماء عن الأصمعيات ؛ إنه المفضليات ، فقد كانت اختيارات المفضل قد نالت ــ قبل أن يجمع الأصمعي اختياراته ــ إعجـاب الرواة والعلماء والادباء والاشراف ، حتى قرئت على الأصمعي نفسه . وعندما ظهرت الأصمعيات ــ بخصائصها التي أسلفنا ذكرها ــ لم تستطع أن تقف أمام مجموعة المفضل ، أو تنافسها . وهكذا كسفت المفضليات الأصمعيات ، وأخلّت بها ، حتى أجمع الناس أنه ليس فيما اختير من المقصدات أجود مما اختار المفضل[٢] .

وإذا استطعنا أن نتقبل هذا الاجماع ، فهمنا بحق العبارة « بقية الأصمعيات التي أخلّت بها المفضليات » التي هي عنوان الموجود من الأصمعيـات في نسختي كبرل وڤينا . ولعلنا لا نجد عسراً في تقبل هذه الحقيقة ، إذا استحضرنا ما فعلته

---

(١) وهي ذوات الارقام : ٩ و ٢٠ و ٢١ و ٢٦ و ٢٧ و ٣٠ و ٤٦ و ٤٨ و ٥٠ .

(٢) شرح شواهد الشافية ص ٨ وشرح الحماسة للمرزوقي ص ٣ و للتبريزي ١ : ٥ : ٤ وشرح المفضليات للتبريزي ورقة ١ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

حماسة أبي تمام في سميّاتها . فلدينا في تاريخ الأدب حماسات كثيرة : للبحتري ، والخالديين ، وأحمد بن فارس ، وأبي هلال العسكري ، والاعلم الشنتمري ، وابن الشجري ، وأحمد بن عبد السلام الجراوي ، ويوسف بن محمد البياسي ، وعلي بن أبي الفرج البصري ... ولكن هذه الاختيارات كلها لم تستطع أن تنافس حماسة أبي تمام . ولذلك قيل : ليس في المقطعات أحسن من اختيار أبي تمام(١) .

وقد تضافرت هذه الأسباب التي بسطناها ، وتعاونت على إضعاف شأن اختيارات الأصمعي ، فقلّت – مع مضي الزمن – نسخها ، وألحق ماوجد منها بذيل المفضليات ، ولم يصنع عليها من الشروح مافيه غناء . فكل مانعرفه عن شرحها أن علي بن سليمان الأخفش قد جمع بين المفضليات والأصمعيات في كتاب « اختيارات المفضل والأصمعي » ، وضمنه شرحاً لأشعارهما . وإذا صح زعم بعض المعاصرين بأن كتاب « الاختيارين » الذي وصلنا منه الجزء الثاني فقط ، وحققناه ولما ينشر ، ليس من صنعة الأخفش هذا ، فإن ثمة عالماً آخر ، صنع للأصمعيات مع المفضليات شرحاً ثانياً ، لم يعرف ، وظُن أنه ابن السكيت (٢) . أما أن يكون للأصمعيات وحدها شرح مستقل فهذا ما لا علم لنا به .

ومما يذكر ههنا أن بعض الدارسين المحدثين أوردوا أسباباً أخرى ، ردوا إليها إعراض العلماء عن الأصمعيات . وتتلخص تلك الأسباب فيما يلي :

١ – احتجاز المفضليات أجود قصائد الأصمعيات .

٢ – ان الأصمعي دون المفضل علماً ، وقدرة على اختيار قصائد ممتازة لشعراء عظام .

---

(١) شرح شواهد الشافية ص ٨ وشرح الحماسة للمرزوقي ص ٣ وللتبريزي ١ : ٤ وشرح المفضليات للتبريزي ورقة ١

(٢) نخبة من كتاب الاختيارين ص ٢٩ – ٣٤ من المقدمة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٣ ــ ان الأصمعيات رويت مفككة مخلخلة ، ليس لأكثرها مناسبات معروفة .

٤ ــ ظهور شعراء مجددين في القرن الثالث ، أبـــدعوا ماشغل الجمهور عن الشعر القديم .

ولننظر في هذه النقاط الأربع ، لنرى ماتحمله من آثار الصواب .

أما النقطه الأولى (١) فإنها ــ إن صحت أصلاً ــ تعلل إعراض العلماء عن الأصمعيات ،بعدأن ضمت إلى المفضليات ، ثم فصلت عنها تاركة فيها أجود أشعارها ، أي بعدعصر جامعها الأصمعي بقرن أو أكثر . فلم إذاً أعرض العلماء عنها قبل أن ينالها النقص ، وتفقد أكثر أشعارها ؟

الحق أن هذا الرأي مبني على أن الأصمعيات عاشت ، منذ نشوئها ، في كنف المفضليات ، ولم تنفصل عنها إلا ناقصة سليباً . فهو نتيجة لاعتقادٍ بيّنّا من قبلُ فساده وبطلانه . ولذا يبدو فيه ماذكرنا من ضعف وقصور . إنه وليد نظرية أصمَعَةِ المفضليات ، وهي ماتزال مفتقرة إلى البرهان والدليل .

وأما النقطة الثانية (٢) فإننا لانظن أن أحداً ذا علم يقرّ صاحبها عليها . فالأصمعي في كثرة الرواية لم يعرف له مثيل (٣) . وفي الذوق الأدبي حسبه أن الرشيد كان يـدعوه شيطان الشعر (٤) . وهاهي ذي أحكامه النقدية منثورة في الشروح الأدبية ، صغيرها و كبيرها ، حتى إن شروح المفضليات لم تستطع أن تخلو منها . إن الأصمعي أعظم من أن توجه إليه هذه الاتهامات . وهو ــ إن لم يفق المفضل علماً وخبرة وذوقاً ــ نِدٌّ له وقرين .

(١) نخبة من كتاب الاختيارين ص ١٨ ــ ٢٠ من المقدمة .

(٢) » » » ص ١٨ ــ ٢٠ »

(٣) تاريخ بغداد ١٠ : ٤١٤ وإنباه الرواة ٢ : ٢٠١ .

(٤) تاريخ بغداد ١٠ : ٤١٧ وشرح ديوان أبي تمام ١ : ٩ من المقدمة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وأما النقطة الثالثة [١] فهي أحكام معممة ، لاسند لها . فالتفكك الذي اتهمت به أشعار الأصمعيات ليس له وجود ، إلا في مواطن قليلة لاتذكر ، وهو في المفضليات وحماسة أبي تمام لا يقلّ نسبة عنه في الأصمعيات .

وكذلك حال مانسب إلى الأصمعيات ، من افتقار إلى مايوضحها من الاخبار التاريخية والمناسبات . فإذا رجعنا إلى بقية الأصمعيات رأينا فيها الدليل الواضح على بطلان ذلك الادعاء . فلقد ذكر الأصمعي نفسه مناسبات القصائد : ١ و ٥ و ٨ و ٩ و ١٣ و ٢١ و ٢٧ و٢٨ و٣١ و ٣٥ و ٤٣ و ٤٥ و ٤٧ و ٥٥ . أما سائر الاشعار فإنها قلما يرد فيها من الإشارات التاريخية ما لايعرف في كتب التاريخ والادب .

وأما النقطة الرابعة [٢] فإنها إن صحت سبباً وجب أن تصيب المفضليات ـ كما أصابت الأصمعيات ـ بآثارها ونتائجها . ثم ان الذي رغب عن الاصمعيات هو ـ كما نص ابن النديم ـ العلماء ، لا العامة فحسب . وما كان العلماء في القرنين ، الثالث والرابع ، ليشغلوا بأشعار المحدثين عن أشعار القدماء ، لمثل هذه الاسباب السطحية التي ذُكرت . فلقد لبث اللغويون ، والادباء ، والنحاة ، والنقاد ، يصرون على احترام الشعر القديم ، والاهتمام به ، ولم يشذ عليهم الا أفراد معدودن . يشهد على ذلك من آثار هـذه النقطة نفسه وهو المستشرق آلورد [٣] .

فخر الدين قباوة

(١) مجموع أشعار العرب ١ : ١٠ من المقدمة .

(٢) مجموع أشعار العرب ١ : ١٢ من المقدمة .

(٣) مجموع أشعار العرب ١ : ١٢ من المقدمة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net